الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأرجنتين وأوروغواي والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

كلمة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في اللقاء مع السُّلُطات وممثّلي المجتمع المدنيّ والسّلك الدّبلوماسيّ

في قصر الحرّيّة، المركز الثّقافي دومينغو فاوستينو سارمينتو

(Centro Cultural Domingo Faustino Sarmiento)

الأحد 8 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

السّيّد رئيس الجمهوريّة،
السُّلطات وأعضاء السِّلك الدّبلوماسيّ المحترمين،
سيّداتي، سادتي،

يسعدني كثيرًا أن أكون اليوم في هذه الأرض، أرض الأرجنتين العزيزة. أشكركم، السّيّد الرّئيس، على كلماتكم الودّيّة التي وجّهتموها إليّ، وعلى حفاوة الاستقبال التي خصّني بها شعبكم من خلالكم. أحيّي أيضًا أعضاء السِّلك الدّبلوماسيّ وسائر السُّلطات الحاضرة هنا، وأوجّه تحيّة مفعمة بالمودّة إلى جميع الأرجنتينيّين.

جئت إليكم خليفة الرّسول بطرس، وبالتّالي راعيًا. أودّ أن ألتقي مع الكنيسة التي تسير على هذه الأرض، وأودّ أن أتوجّه أيضًا إلى كلّ الأمّة وإلى الذين أُوكلت إليهم مهمّة خدمتها. فالكنيسة ترافق حياة الشّعوب انطلاقًا من الرّسالة التي أوكلت إليها. لذلك، أمام الذين يتولّون المسؤوليّات العامّة أيضًا، تريد أن تقدّم كلمة مستلهمة من الإنجيل وتهدف إلى صون كرامة كلّ إنسان، وتعزيز الوئام والخير العام.

مجيئي إلى هذه الأرض، بالنّسبة إليّ، يحمل معنًى خاصًّا. فعلى مدى اثني عشر عامًا، أصغت الكنيسة الجامعة إلى صوت حَبْرٍ أعظم أرجنتينيّ حمل معه في ذاكرته وقلبه الأماكن والنّاس والإيمان الذي تلقّاه هنا. اليوم، إذ أخلفه في

فمنهم من وُلد هنا، ومنهم من جاء من أماكن بعيدة ووجد في هذه الأرض وطنًا له، ومنهم من ينتمي إلى الشّعوب الأصليّة التي يسبق وجودها نشأة الأمّة. من هذا اللقاء بين الأصول والخبرات المتنوّعة، تكوّن شعبٌ مع مرور الزّمن، شعبٌ عرف كيف يفتح أبوابه، ويُفسح المجال للقادمين إليه، ويحافظ، حتّى في اللحظات الصّعبة، على قدرته الملفتة للنظر على النّهوض ومواصلة المسيرة. ساهم الجميع في بناء الأرجنتين التي يسعدني اليوم أن أزورها. إذ لا يبدأ أيّ جيل في بناء الوطن من الصّفر، بل يتسلّمه من الذين سبقوه.

يتسلّمه من خلال لغة وروابط تسبقه، ومؤسسات أسّسها آخرون، وخيرات نمت بفضل عمل كثيرين. التّاريخ يحفظ أمورًا تدعو إلى الشّكر، وذكريات مؤلمة أيضًا. يجب على كلّ جيل أن يميّز ما يستحقّ الحفاظ عليه، وأن يواجه تبعات مظالم الماضي، وأن يُنمّي التّراث المادّيّ والرّوحيّ المشترك. الوطن الذي بين أيديكم اليوم سيكون غدًا إرثًا تتسلّمه أجيال أخرى.

تقدّم الثّقافة بعضًا من أهمّ مظاهر هذا الإرث. فقد استطاعت الأرجنتين أن تعبّر عن نفسها بصوت مميّز يتجاوز حدودها بكثير: في ملحمة مارتين فييرّو (Martín Fierro) لخوسيه هرنانديز (José Hernández)، وفي صفحات خورخي لويس بورجيس (Jorge Luis Borges) وكثير من الكتّاب الذين أغنوا اللغة الإسبانيّة بلهجة منطقة ريو دي لا بلاتا (Río de la Plata)، وفي التّانغو الذي وُلد من لقاء الأحياء والموانئ والأصول المتنوّعة. الأمر نفسه ينطبق على الموسيقى والتّقاليد في المناطق الدّاخليّة، والمسرح، وكذلك في ممارسات يوميّة بسيطة، مثل مشاركة شراب الماتي (el mate)، الذي يحوّل الاستراحة إلى فرصة للحوار والتّقارب. إنّها تعابير مختلفة عن ذاكرة جماعيّة واحدة، تلقّتها الأجيال من أسلافها، وأُوكلت أيضًا إلى إبداع الأجيال الآتية.

في هذا الإرث يتجذّر الإيمان المسيحيّ تجذّرًا عميقًا. فأثره يمتدّ عبر ذاكرة الأمّة، ولا يزال حيًّا في نفوس أرجنتينيّين لا يُحصَون، وجدوا في الإنجيل مصدرًا للمعنى والرّجاء والأخوّة.

مشاركة إرث واحد يقتضي أيضًا تعلّم العيش معًا، حتّى عندما يكون هناك اختلاف في الآراء. التّاريخ يعلّمنا كم يستطيع شعب أن ينمو عندما تتحوّل اختلافاته إلى مناسبة للحوار واللقاء. لذلك، فإنّ الدّيمقراطيّة هي أيضًا جزء من هذا الإرث الذي يجب الحفاظ عليه. فاختيار الحكّام بالاقتراع، والمشاركة في الحياة العامّة، والتّعبير بحرّيّة عن القناعات الشّخصيّة، والثّقة بالقانون، والاعتراف بالمؤسّسات مساحة مشتركة، كلّها خيرات تترسّخ مع مرور الوقت، وكلّ جيل مدعُوٌّ إلى أن يحافظ عليها ويعزّزها (راجع القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المائة*، 46).

الدّيمقراطيّة تتعزّز أيضًا بطريقة التّصرّف اليوميّة في الحياة العامّة: بالاستعداد للإصغاء، والتّنبّه إلى الكلام، والسّعي بصبر إلى التّوافق، والقدرة على الاعتراف بأنّ من يفكّر بطريقة مختلفة هو مواطن يشاركنا المصير نفسه. بهذه الطّريقة تتكوّن الثّقة التي تتيح للمجتمع أن يواجه اختلافاته دون أن يفقد إدراكه لما يوحّده.

أمّا الذين أُوكلت إليهم مسؤوليّات عامّة، فتقع على عاتقهم مهمّة تتطلّب منهم الكثير على نحو خاصّ. فالسُّلطة تبلغ أسمى معانيها عندما تُمارَس على أنّها خدمة، وعندما تعرف كيف تنظر إلى ما هو أبعد ممّا هو حاليّ، وعندما تضع قدراتها في خدمة ما هو مُلك للجميع. مَن يمارس السُّلطة يجب عليه أيضًا أن يتصرّف بحكمة، ويعترف بحدود السُّلطة التي أُوكلت إليه، ويوجّه قراراته نحو خير الجماعة كلّها (راجع القدّيس يوحنّا الثّالث والعشرون، رسالة بابويّة عامّة، *السّلام على الأرض*، 53-60).

الخير العام الذي تخدمه السُّلطة يجب أن يظهر أيضًا في ظروف الحياة اليوميّة العمليّة. العائلة التي هي الخليّة الأساسيّة للمجتمع، تحتلّ مكانة جوهريّة في هذا المجال. فيها يتعلّم كلّ إنسان أن يكتشف أنّ حياته مرتبطة بحياة الآخرين، وأنّه مسؤول عنهم أيضًا. في العائلة نتعلّم أن نهتمّ بالأشدّ ضعفًا، وأن نغفر، ونشارك، ونبقى إلى جانب مَن يحتاج إلى المساعدة، وهناك أيضًا يتلقّى كثير من الرّجال والنّساء بذار الإيمان الأولى.

لذلك، فإنّ أحد أبسط الشّروط الأساسيّة هو أن يتمكّن الإنسان من العيش من ثمار عمله. هذه الأرض تعرف جيّدًا قيمة الجهد الذي يبذله الذين يكسبون عيشهم في الحقول والمدن، وفي الورش والمدارس والمستشفيّات، والذين

الأرجنتين تمتلك ثروة بشريّة كبيرة. واستثمار هذه الثّروة بما يعود بالنّفع على الجميع، يتطلّب إيلاء الشّباب اهتمامًا خاصًّا. فما يجدونه من فرص اليوم سيحدّد، إلى حدّ كبير، مدى قدرتهم على تحقيق أهداف حياتهم في وطنهم. يجب على الأمّة أن تسأل نفسها بجدّيّة: أين أخفقت، عندما يضطرّ شبابها إلى مغادرة أرضهم لكي يحقّقوا أحلامهم؟

إنّ تهيئة الظّروف التي تتيح للشباب رسم مسار حياتهم بحريّة في الأرجنتين تقتضي، على نحو خاصّ، تعزيز التّعليم والتدريب المهني والجامعات والبحث العلميّ. سَعَت هذه الأمّة، على مدى تاريخها، إلى توسيع نطاق التّعليم ليشمل قطاعات متزايدة الاتّساع من المجتمع. بفضل هذا الجهد، تمكّنت أجيال من الأرجنتينيّين من تنمية قدراتها والإسهام في تطوير البلاد بمختلف المهن والاختصاصات. إنّ الحفاظ على هذه الرّسالة التّربويّة وتعزيزها يتطلّب توفير تنشئة للشباب تساعدهم ليكتشفوا مواهبهم، ولتنميتها، ووضعها في خدمة الآخرين (راجع القدّيس بولس السّادس، رسالة بابويّة عامّة، *تقدّم الشّعوب*، 14-15). هذه المهمّة تتطلّب أيضًا الثّقة بالشّباب، والاعتراف بقدرتهم على المبادرة، وفتح مجالات تتيح لهم تقديم أفكارهم وتحمّل المسؤوليّات. فالأمّة تحتاج، منذ الآن، إلى ذكائهم وإبداعهم ومشاركتهم.

هذا الأفق يطرح سؤالًا آخر: ما المكانة التي تحتلّها في قراراتنا الأجيال التي لم تولد بعد؟ قبل أن نسأل أنفسنا أيّ عالمٍ سنتركه لها، يجب علينا أن نعترف بكرامتها. إنّ مسؤوليّتنا تجاه الأجيال المقبلة تبدأ بتلقّي الحياة منذ لحظاتها الأولى وصونها حتّى نهايتها الطّبيعيّة (راجع القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، رسالة بابويّة عامّة، *إنجيل الحياة*، 101). الكرامة نفسها تتطلّب إيلاء اهتمام خاصّ في حالات المرض والاعتماد على الآخرين والإعاقة. في هذه الحالات أيضًا، يجب أن نهتمّ بالإنسان، ونخفّف آلامه، ونرافقه، ونجعله يشعر بأنّ حياته تحتفظ دائمًا بقيمة لا يمكن لأيّ ظرف أن ينتقصها.

هذه المسؤوليّة تجاه الجنس البشريّ تشمل أيضًا العناية بالأرض. فقد أنعم الله على الأرجنتين بثروة طبيعيّة استثنائيّة. فحقولها، واحتياطاتها المائيّة، ومصادر الطّاقة فيها، ومعادنها وتنوّع أنظمتها البيئيّة توفّر إمكانات واسعة للتنمية. البيئة البشريّة بمعناها الأصيل، تعرف كيف تجمع بين العناية بالخليقة والعناية بالبشر، بحيث يساهم استثمار هذه الموارد في رفاه الجماعات، ويحافظ على الظّروف التي تجعل الحياة والعمل ممكنين في أراضيها (راجع بندكتس السّادس عشر، رسالة بابويّة عامّة، *المحبّة في الحقيقة*، 51).

التطوّرات التكنولوجيّة السّريعة تفتح، بدورها، آفاقًا لم يكن من الممكن تصوّرها قبل سنوات قليلة. لكنّها تثير أيضًا تساؤلات بعيدة المدى، ولا سيّما فيما يتعلّق بالذّكاء الاصطناعيّ. فالطّبّ والتّعليم والإنتاج والبحث العلميّ تمتلك اليوم أدوات قادرة على إحداث تحوّلات عميقة في الحياة البشريّة. وتقتضي هذه التطوّرات النّظر في عواقب تطبيقها وفي مسؤوليّات الذين يقرّرون كيفيّة استخدامها. فالتطوّر التكنولوجيّ يحتاج إلى وعي أخلاقي يوازي مستواه (راجع فرنسيس، الإرشاد الرّسوليّ، *سيّحوا الله*، 21-24).

العديد من هذه المسؤوليّات تتجاوز نطاق دولة واحدة. فالأنهار الكبرى تربط بين الأراضي، والأنظمة البيئيّة تمتدّ من بلد إلى آخر، والطّاقة والأغذية والمعرفة وحركة الأشخاص تنشئ روابط تتخطّى الحدود. لذلك، فإنّ التّفكير في مستقبل الأرجنتين يدعونا أيضًا إلى أن نلتفت إلى الشّعوب التي نتقاسم معها هذه القارّة. فأمريكا الجنوبيّة تمتلك ثروة بشريّة وطبيعيّة كبيرة، وتتشارك شعوبها روابط تاريخيّة وتقاليد ثقافيّة تتيح مجالًا واسعًا للتعاون. والأرجنتين يمكنها أن تسهم في هذا الجهد بما تمتلكه من خبرات وقدرات. وتعزيز مجالات اللقاء والتّعاون هو إحدى الوسائل لتتحمّل المسؤوليّات معًا، التي لا تستطيع أي دولة مواجهتها بمفردها.

هذا التّعاون يكتسب أهميّة مماثلة أمام التهديدات الخطيرة. فالجريمة المنظّمة، وشبكات الاتجار بالبشر، والاتجار بالأسلحة والمخدّرات، وكذلك الفساد، تضرّ بالعيش معًا، وتغذّي العنف، وتحرف الموارد عن الغايات اللازمة لتحقيق الخير العام. أمام هذه الوقائع، لا غنى عن العمل المنسّق بين الدّول وعن متانة المؤسّسات. هذه المتانة تعتمد أيضًا على النّزاهة الشّخصيّة للذين أُوكلت إليهم مسؤوليّة الحكم، لأنّ الفساد يقوّض ثقة المواطنين بمؤسّساتهم (راجع القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، الإرشاد الرّسوليّ، *الكنيسة في أمريكا*، 23 و60).

هذا الجهد المشترك يجد أحد أسمى تعابيره في خدمة السّلام. يجب الدّفاع عن المصالح المشروعة لكلّ أمّة بالحوار

الكنيسة أيضًا تودّ أن تسهم في هذه المسؤوليّة المشتركة. فوجودها في الأرجنتين هو جزءٌ من تاريخ يمتدّ في كلّ أنحاء أمريكا. وعلى مدى قرون، رافقت الكنيسة شعوب القارّة، وأعلنت الإنجيل واحتفلت بالإيمان، واهتمّت بالتّربية ورعاية المرضى، وبقيت إلى جانب الفقراء، ورافقت العائلات، وعزّزت السّلام والمصالحة.

هذه الرّسالة تنبع من محبّة المسيح، الذي سفك دمه من أجل الجميع، وتستمرّ اليوم في الرّعايا وجماعات المؤمنين المدعوّة إلى أن تبقي أبوابها مفتوحة، لكي يجد كلّ إنسان فيها الاستقبال والمودّة. "أهلًا وسهلًا بكم جميعًا" (راجع متّى 22، 9-10) هذه الكلمات تعبّر بإيجاز عن دعوة الإنجيل الشّاملة، التي تشمل كلّ إنسان وتدعوه إلى اللقاء بالمسيح والاهتداء إليه. من هذا الاستقبال تنبثق أيضًا الرّسالة: "اذهبوا وأعلنوا البشارة" (راجع مرقس 16، 15). هذه الوصيّة لا تزال تثمر في المدارس والجامعات، وفي المبادرات الاجتماعيّة، وفي الشّهادة اليوميّة لرجالٍ ونساءٍ كثيرين وضعوا إيمانهم في خدمة الآخرين.

هناك خيرات يحتاج إليها المجتمع، ولا تستطيع أيّ سياسة عامّة أن تنتجها بمفردها. فالثّقة، والمغفرة والاستعداد للخدمة، والوعي بأنّ لحياة الإنسان معنى يتجاوز النّجاح أو المنفعة، كلّها أمور تنمو في الضّمير الشّخصيّ وفي حياة العائلات والجماعات. والإيمان يغذّي هذه الخيرات ويسندها. لذلك، تودّ الكنيسة أن تبقى قريبة من الأمة الأرجنتينيّة، وأن تعيش المحبّة، فتشاركها أعباءها وأفراحها، وتقدّم لها الرّجاء الذي يولد من الإنجيل.

وإذ أنظر إلى المسيرة التي قطعتها هذه الأمّة، تعود إلى ذهني الصّورة التي رافقت كلامي: كلّ جيل يتسلّم وطنًا وضعه آخرون بين يديه. ولمدّة من الزّمن، تقع عليه مسؤوليّة العيش فيه وخدمته وتنميته، ثمّ عليه أن يسلّمه إلى الذين يأتون بعده (راجع فرنسيس، رسالة بابويّة عامّة، *كُن مسبّحًا*، 159). نعم، كما أنشد غارديل (Gardel)، الحياة نَفخَة عابرة، لكن الخير الذي ينجح كلّ جيل في صونه ونقله هو الذي يبقى. والإيمان يدعونا إلى أن نرفع نظرنا إلى أبعد من ذلك، نحو السّعادة الأبديّة التي يدعونا الله إليها.

أيّها الأرجنتينيّون الأعزّاء، يقع اليوم بين أيديكم جزءٌ مهمّ من هذه المسؤوليّة. التّراث الاستثنائيّ الذي تملكونه يتيح لكم أن تنظروا إلى المستقبل بثقة. وقد حان الوقت الآن أن تجعلوا ما تسلّمتموه يؤتي ثمره، وأن تحافظوا على ذلك الهدف حيًّا في "إقامة الوحدة الوطنيّة"، الذي أُعلن في مقدّمة دستوركم. ليتسلّم الذين سيأتون من بعدكم وطنًا موحّدًا، يليق بتاريخه وبالإمكانات التي يحتويها.

أخيرًا، أفكّر في سيّدتنا مريم العذراء، سيّدة لوخان (Luján)، الحارسة بصمت لذاكرتكم. فقد توافد أمام صورتها، جيلًا بعد جيل، أمّهات وآباء، وعاملون، وشباب ومسنّون من جميع أنحاء البلاد، حاملين معهم هموم زمانهم وآماله. إلى تلك الصّلوات أودّ أن أضمّ اليوم صلاتي أيضًا. وأودّ أن أقوم بذلك بالكلام الذي قاله البابا فرنسيس وهو يفكّر فيكم: "ليجعلكم الرّبّ يسوع تنمون كشعب" (*رسالة فيديو إلى الشّعب الأرجنتينيّ*، 30 أيلول/سبتمبر 2016). أطلب ذلك من الرّبّ يسوع من كلّ قلبي، بشفاعة سيّدتنا مريم العذراء الكلّيّة القداسة، سيّدة لوخان. لتحرس هذه الأرض باستمرار، ولتعتنِ بكلّ واحد من أبنائها، ولتحفظهم دائمًا بالقرب من يسوع.

ليبارك الله الأرجنتين وكلّ قاطنيه. شكرًا جزيلًا.

****

2026 نايكيتافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana